الدرس الحادي العاشـــر/ الاتجـــاه السيميائـــي:

يعدّ المنهج السيميائي من مناهج ما بعد البنيوية، ولكن القضية التي تواجهنا فيما يتصل بالسيميائية هي قضية المصطلح، وذلك لتعدد الثقافة في إطلاق الكلمات الدالة ابتداء من الاسم العلمي . إنّ المتحدثين باللغة الفرنسية قد تشيعوا لمدرسة (جنيف) التي يتزعمها العالم اللغوي(فرديناند دي سوسير)، ويطلقون على هذا اللون من الدراسات (السيميولوجيا: SEMIOLOGIE). أمّا الذين يتحدثون بالأنجلوساكسونية، فقد تشيعوا إلى تقاليد موازية تعود إلى الناقد الأمريكي المنطقي الشهير (شارلز ساندرس بيرس) يؤثرون مصطلح(السيميوطيقا: SEMIOTIQUE).أمّا النقاد العرب كعادتهم تفرقوا شِيَّعًا، فمنهم من شايع الأوروبيين(السيميولوجيا) ومنهم من شايع الأنجلو سكسونيين (السيميوطيقا)، فيما آثر فريق ثالث البحث في الجذور العربية ـ عله يجد ما يرفع عنه حرج الإتباع ـ بحثًا عن الكلمات المناظرة، والتي يمكن أن تؤدي بشكل تقريبي الدلالة اللغوية المطلوبة في العلم الحديث، ويقع على "السيمياء" ويشتق منها "السيميائية"

***ــ تعريف السيميائية:** تجمع عدة كتابات ومعاجم لغوية على أنّ السيميائيات، هي ذلك العلم الذي يعنى بدراسة (العلامات)، وفي أبسط تعريف لها، فإنّ السيميائية هي<< **دراسة الإشارات.**>>ويعرفها **"** أمبرتو إيكو**"** بقوله:<< تعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة >>، مهما كان نوعها إذْ << تتضمن ليس فقط ما نسميه في الخطاب اليومي إشارات، ولكن أيضا كل ما ينوب عن شيء آخر من منظور سيميائي، تأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء، ولا يدرس السيميائيون المعاصرون الإشارات مفردة ولكن كجزء من منظومات إشارة.... يدرسون كيفية صناعة المعنى وتمثل الواقع>>.

ويتضح من خلال قراءة التعاريف المختلفة المعطاة لمفهوم (السيميائية) أنّها جميعها تتضمن مصطلح (**العلامة:** LESIGNE) وهذا مؤشر واضح على أنّ (العلامات وأنساقها) هي الموضوع الرئيس للسميائيات ومن الصعوبة بما كان إعطاء تعريف واحد نهائي " للعلامة " وهي نوعان:

1- العلامة اللسانية (اللفظية)، ويقصد بها الكلام المنطوق وعلامات الكتابة أو الحروف بأي لغة كانت.

2- العلامات غير اللسانية (غير اللفظية)، وهي التي تقوم على أنواع سننية أخرى، غير الأصوات والحروف مثل حركات الجسم والعلامات الشمية والسمعية والذوقية... وعلامات أداتية تحيل على أشياء خارجة عن العضوية الإنسانية مثل: الملابس، وإشارات المرور... .

وباختصار فإنّ السيمائية تحليل جمالي مؤسس يبحث في العلاقات الدلالية غير المدركة عبر المدركة للقبض على المضمر والمخفي في النص وفي مختلف مناحي الحياة.

أولا/ سيميـولـوجيـــا: فرديناند دي سوسير (SEMIOLOGIE):

ويعتبر" دي سوسير" هو أول من تنبأ بعلم يدرس حياة الإشارات والعلامات، ويربطها مع النواحي الاجتماعية سمّاه (السيميولوجيا)، و<< العلامة هي شيء جيء به ليمثل شيئا آخر غير مدرك مباشرة >>مثل: هزّ الرأس: علامة على الموافقة، وتقطيب الجبين: علامة على العبوس والاشمئزاز، وتورد الوجنتين: علامة على الخجل، والحمى: علامة على

المرض، وشقائق النعمان: علامة على الربيع.... .

إنّ العلامة اللغوية، هي محور مشروع" دي سوسير" السيميولوجي، وتقوم العلامة ـ حسب سوسير ـ على وجهين هما الدال والمدلول، وتعتبر العلاقة بينهما علاقة اعتباطية، بمعنى تحرير الدال من الأحادية المعنوية أي لا نهائية المدلولات التي تفتح النص على مدارات لا نهائية، وتجعل القراءة أكثر فاعلية وإنتاجية، وأنّ اللغة هي نظام العلامات.. وبالإضافة إلى العلامات الاعتباطية تحدث " دي سوسير" عن (العلامة الرمزية/ العرفية) المتسمة بخاصيات معينة، يقول:<< ومن خاصة الرمز ألا يكون أبدًا اعتباطيًا في سائر وجوهه، فهو ليس خاليًا ولا فارغًا من كل محتوى مادي، إذْ لا تزال فيه بقية من علاقة طبيعية بين داله ومدلوله، فالرمزالذي يشير إلى العدالة..لا يمكن أن تستبدله بأي رمزآخر كالعربة مثلا>>

ثانيـا/ سيميـوطيقـا: شارلز بيرس **(SEMIOTIQUE)**:

يرى" شارلز بيرس" أنّ العلامات ـ كيفما كانت طبيعتها ـ يجب أن تعالج في إطارها المنطقي، ويذهب إلى أنّ أي تحليل لا بدّ أن يتم عن طريق العلامات، لأنّها من جهة تمكننا من التفكير والتواصل مع الآخرين، ومن جهة أخرى تمكننا من إعطاء معنى لما يقترحه علينا الكون. والعلامات في نظر" بيرس" متساوية من حيث الأهمية لذا عني (باللسانية) منها(اللفظية)، و(بغير اللفظية) غير اللسانية. فهو يؤسس للسيميائة بتحليله لأنواع العلامات المختلفة وتمييزه بين مستوياتها المتعددة، حيث يعدد الفروق بين الإشارات وهي المتجاورة في المكان مثل(**السهم**) الذي نبصره مشيرا إلى مكان معين، ومثل حركة(**الأصبع**)عندما تشير إلى شيء أمامها، باعتبار تلك الإشارات مجالا لأنواع خاصة من العلامة تقوم بين (الدال والمدلول) فيها علاقة التجاور المكاني وهي ذات طابع بصري في مجملها.

إنّ" شارلز بيرس" يرى أنّ كل التجارب الإنسانية تدرك من خلال هذه المستويات (الإشارة ـ الموضوع ـ المعنى) فيصبح بذلك المدلول هو معنى الإشارة، وقد شهد مفهوم (الدال والمدلول) تطورا آخر على يد كل من" رولان بارت" و"جاك لاكان"حيث رفضَا فكرة وجود ارتباط ثابت بين الدال والمدلول.

ـ خصائـص الاتجاه السيميائـــي:

أولا/ إنّه منهج" داخلي محايث" : يركز على داخل النص ويهدف بالأساس إلى بيان شبكة العلاقات القائمة بين عناصر الدال من حروف وكلمات وعبارات، ذلك من منطلق أنّ العلاقة التي تقوم على العمل الأدبي ومحيطه الخارجي لا ترقى إلى مستوى تأسيس معنى عميق للنص.

ثانيـا/ إنّه منهج" بنيوي": ذلك بأنّه يستمد مبادئه وعناصره من المنهج البنيوي اللساني، فقد تبنى الإجراءات المنهجية البنيوية التي أرساها " دي سوسير"، ويظهر هذا بجلاء من خلال استقراء بعض المصطلحات الفاعلة في التحليل السيميائي، مثل البنية (STRUCTURE)، والمستوى السطحي (LE NIVEAU DE SURFACE) والمستوى العميق(LE NIVEAU DE PROFOND)، والنسق (SYSTEM)، والعلاقات (RELATION)، وهذه كلها مصطلحات ازدهرت مع النقد البنيوي الذي يوحي بالاهتمام بداخليات النص.

ثالثـا/ إنّه"متميز الموضوع": فإذا كانت اللسانيات تعنى بالقدرة الجملية، أي بتوليد الجملة بوصفها أكبر وحدة لغوية، فإنّ السيميائيات وخاصة السردية (SPECIAL NARATIVE) تهتم بالقدرة الخطابية أي ببناء الخطاب (DISCOURS) وتنظيمه.

****ــ الاتجاه السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:**

ظهرت أصوات عديدة تدعوا إلى الثورة ضد المناهج النقدية السياقية نحو مناهج نسقية جديدة معاصرة، لأنّ الواقع المعرفي في العالم المعاصر أصبح يتطلب معرفة علمية ومنهجية تساير التطور العلمي المتسارع، لذلك توجه الخطاب النقدي في الجزائر في الثمانينيات من القرن العشرين نحو النقود الجديدة المعاصرة التي تعرف بالنقود النسقية.

***ــ** ويعتبر الدكتور **"عبد الملك مرتاض"** أول من بادر من خلال بحثه (ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد)، وهذا ما استشعر مجموعة من أهم رموز النقد الجزائري إلى طرق المناهج المعاصرة، وخاصة السيميائيات (تأسيس وعي نقدي جديد)، وتبقى المحاولات الأكثر حضورا وممارسة في النقد الجزائري أن تكون عربية الذوق، فقد أكد ذلك "عبد الحميد بورايو" وبشكل واضح عندما قال:<< لقد حرصنا ... على استبعاد المفاهيم المنقولة بشكل حرفي من الدراسات الغربية، كما عملنا على تجاوز التطبيقات الميكانيكية>>، والرأي نفسه نجده عند "عبد الملك مرتاض" في قوله:<< ولكن دون أن نفصمه عن الذوق العربي>>.

***ــ** لقد أسس الناقد " رشيد بن مالك" مشروعه السيميائي في تحليل النصوص السردية التي انبثقت عنه بعض الأعمال المنجزة في هذا المجال، ويعدّ كتابه**(البنية السردية في النظرية السيميائية)** من المحاولات المتميزة في الدراسات السيميائية الجزائرية وفي العالم العربي، سواء من حيث الطرح الذي يقدمه الباحث عن الفرضيات التي حدّدها في المقدمة أو المنهج الذي يقوم عليه البحث بوجه عام أو النتائج المتوصل إليها. حيث تمكن من الجمع بين المجال النظري والممارسة التطبيقية، ملتزمًا بالتناسق بين الأجزاء الأساسية في إطار منهجي عام.

وما ميّز المنهج السيميائي عند "رشيد بن مالك" هو ولائه للمنهج بعينه والتزامه بخلفياته الفلسفية والنقدية، عكس ما نجده عند الكثير من النقاد الجزائريين الذين حاولوا الجمع بين أكثر من منهج في الدراسة الواحدة، كما هو الشأن عند "عبد الملك مرتاض" و"عبد الحميد بورايو" وغيرهم، وهم لا يعابون على ذلك.

ـ كما يعدّ **"**عبد الحميد بورايو**"** من أبرز رواد الحركة السيميائية في الجزائر، ظهرت دعواته إلى هذا التوجه في وقت مبكر (في بداية الثمانينيات من القرن العشرين)، وجاءت بثمارها في دراسات عديدة أشهرها **(القصص الشعبي في منطقة بسكرة 1986)**، حيث حاول من خلاله تقديم بعض المبادئ الأولية في السيميائية حتى عدّ مؤسسًا للتوجه السيميائي في الجزائر. يليه مؤلفه **(منطق السرد 1994)** الذي يتراوح منهجيًا بين السيميائية والبنيوية والواقعية، ويتجلى نصيب الدراسة السيميائية منه ـ على الخصوص ـ في فصل المكان والزمان في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.

لا يمكن أن نهمش الأسماء السيميائية الجزائرية الأخرى والتي قدمت محاولات نقدية معتبرة منها **"**عبد القادر فيدوح**"** في كتابيه **(دلائلية النص الأدبي)** و**(الرؤيا والتأويل)**. كما قام بدراسة قصائد شعرية لشباب جزائريين، أمثال: سعيد هادف

عاشور فني ـ خيرة حمر العين .. ليشرع في دراسة سيمات تلك النصوص وخصائصها وفق أبجديات الدرس السيميائي.

كما نجد**"**حسين خمري**"** الذي كانت له عدة دراسات في الدوريات العربية والجزائرية بمنهج سيميائي، ومن بين ما قدم دراسة (سيميائية الخطاب الروائي) التي تعرض فيها لرواية "صوت الكهف" لعبد الملك مرتاض، برؤية سيميائية في سرد الشخوص والأمكنة والأحداث في تدرجه على سلم (فلادمير بروب) مستفيدا من طروحات (غريماس، وكورتاس، ورولان بارث...)، كما لا نستثني دراسات أخرى أثرت المشروع السميائي الجزائري كإسهامات: بختي بن عودة، وأحمد شريبط وأحمد يوسف، وأمينة بلعلى، وبشير إبرير... .